على الغلاف

تسع سنوات على الانتصار [2]
فشل الهجمات البرية: إسرائيل سقطت

مثلما قال رئيف شيف في صحيفة هآرتس، مطلع تشرين الثاني من عام 2006: لقد تلقت اسرائيل صفعة. في الحديث عن التوغّل البري لن يدور الحديث عن فشل عسكري فحسب، إنه فشل استراتيجي لم تتضح بعد تبعاته واسقاطاته السلبية البعيدة المدى

بشار اللقيس

لم يكن صباح السابع عشر من تموز 2006 يوماً عادياً في مجريات الحرب. مع انطلاق أول عمليّة برّيّة اسرائيلية ذاك الصباح قرب قرية مارون الراس، كانت وحدة ماغلان، التي تمثل جزءاً مما يدعوه الجيش الإسرائيلي «تجمع القوات الخاصة»، تخوض أولى المواجهات مع حزب الله. كانت مهمة المجموعة المتوغلة الصغيرة الحجم، تحديد مناطق اطلاق صواريخ حزب الله على «أفيفيم» القرية الزراعية التي حوت مقر قيادة العمليات الاسرائيلية. كان من المفترض بالقوة المتقدمة، التسلل إلى جبل الباط بالقرب من مارون الراس لتفحص أماكن اطلاق صواريخ حزب الله. مع دخولهم، منتصف الليل، كان كل شيء يسير مثلما افترضت غرفة عمليات الوحدة. لم يشعر الجنود بانهم داخل بقعة خاصة بحزب الله فيها عدة مواقع محكمة التمويه، حتى الساعة 04:11 فجراً. مع بزوغ الفجر كان خطأ واحد من أحد أفراد المجموعة كفيلاً باشعال نيران أسلحة حزب الله، كان الرقيب يونتان هداسي والرقيب أول يوتام غلبوع أول القتلى في المعركة، فيما جُرح عدد غير قليل من أفراد المجموعة.

ذُهل جنود القوات الخاصة بكثافة النيران وبشراسة مقاتلي حزب الله، وجاء من مقر قيادة المنطقة الشمالية أن قائد القطاع الشمالي في الجيش الإسرائيلي الفريق عودي أدامز، لم يصدق أن بعض خيرة جنوده وقع في الشرك بتلك السرعة، كما لم يصدق ذلك رئيس هيئة الأركان دان حالوتس، الذي تساءل: ماذا دهى جنود وحدة ماغلان؟، أجابه أدامز بهدوء: لقد حوصروا، فخرج عدد من مقاتلي حزب الله من الأنفاق والتحصينات ليحاربونا بشراسة، يجب أن أرسل مزيداً من القوات.

ظهيرة السابع عشر من تموز، ومع اشتداد المعارك في مارون الراس وما حولها، اضطر الجيش لارسال المزيد من القوات. فدخلت المعركة دبابات من ثلاثة ألوية اسرائيلية، بالإضافة إلى وحدة إيغوز من لواء غولاني، وكتيبة هندسية والكتيبة 101 من لواء المظليين. بُعيد دخولهم بضعة أمتار، بدا أن ثمة شيئا مختلفا في الواقع عما هو في خرائط القيادة. في الواقع، لم تكن معلومات شعبة الإستخبارات عن محميات مارون الراس مباحة حتى لكبار الضباط في غير المهمات القتالية. فلدى شعبة الاستخبارات العامة هواجسها من انتشار المعلومات الحساسة تلك ووصولها لحزب الله، ربما كان ذلك سبباً مضافاً لحالة الإرباك التي واجهها الضباط الميدانيون.

على المستوى السياسي، لم يُجرِ مجلس الوزراء المصغر نقاشات تفصيلية مساء ذاك اليوم، مثلما لم يُشر حالوتس لأي اشكالات ذات أهمية. بُعيد انتهاء جلسة الكبينيت، بدأت الأخبار السيئة تتبادر لمسامع الوزراء. اتصل وزير المواصلات في حينها، شاؤول موفاز، برئيس فريق ديوان رئيس الحكومة، يورام توربوفيتش، وطلب الحديث الى أولمرت الذي بدا مشغولاً. منتصف الليل عاود أولمرت الاتصال به. ينقل عمير ربابورت في يديعوت بعضاً من الحوار الهاتفي، لقد تبدى لوزير المواصلات، سريعاً، عدم فهم أولمرت لخصوصية الجبهة والحرب الدائرة. لم تكن أخبار اليوم التالي أفضل حالاً.

وفي 19 تموز، وبينما حاولت وحدة من قوات النخبة دخول مارون الراس من جهة يارون، أطلق مقاتلو حزب الله صاروخاً مضاداً للدبابات على منزل كان قد اختبأ فيه خمسة جنود من وحدة إيغوز، فقتلهم على الفور. بعد أقلّ من ساعة، تعرضت أعداد كبيرة من دبابات الجيش الإسرائيلي المشاركة في العمليّة لصواريخ ساغر المضادة للدبابات. في الواقع، لم يتوقع الإسرائيليون شيئاً مماثلاً البتة. لقد أدت المعركة، في ما أدت، لاضطراد الخلاف بين غال هيرش، قائد لواء 91 وقيادة المنطقة الشمالية، كما وبين هيرش نفسه وقيادة إيغوز مجتمعة. بالنسبة لهيرش، بدا الجيش الإسرائيلي جيشاً ثقيلاً عاجزاً عن الحركة والمناورة. أما بالنسبة إلى أودي آدم قائد المنطقة الشمالية، فقد بدا متحذراً تهور هيرش، ساخطاً على عدم امتثاله لأوامره.

في مقر الكبينيت المصغر، لم تكن الأجواء لتطيب لأولمرت وحالوتس، فقد تسارعت التقارير المؤكدة عدم جدوى الهجوم البري. وفي محاولة للهروب إلى الأمام، استدعى حالوتس قوات الاحتياط الإسرائيلية في الواحد والعشرين من تموز. جرت عملية الاستدعاء بطريقة فوضوية، لدرجة تأخر معها الدعم اللوجستي المرافق ما بين 24 و48 ساعة بعد نشر القوات. في الحقيقة، لم يكن الهدف من استدعاء الاحتياط مؤازرة الجيش النظامي في غزو برّي واسع النطاق، وإنما «تعطيل المنطق العسكري للحزب ليس إلا».

في ذلك اليوم الذي استدعت فيه تل أبيب قوات الاحتياط، أبرقت وزارة الدفاع لواشنطن طالبة مدها بالمزيد من الصواريخ العالية الدقة. فخلال الأيام العشرة الأولى كان الجيش الإسرائيلي قد استنفد معظم الذخائر المتطورة التي كانت في حيازته، في الوقت الذي جمعت الاستخبارات العسكرية فيه معلومات ـ تسربت للصحافة في 28 تموز ـ تؤكد أن منظومة عمل حزب الله لم تتأثر تأثراً كبيراً، وأن من الممكن للحزب متابعة القتال لأشهر عدة.

لم يتأثر حالوتس وأركانه بفشل الهجوم البري وبالمقاومة المستميتة لحزب الله، فتابعوا جهودهم الرامية لضمان «وعي بالانتصار» لدى الإسرائيليين، وإلحاق إدراك معرفي بالهزيمة في نفوس مقاتلي حزب الله. بحلول 24 تموز، كان عناصر لواء غولاني واللواء المدرع السابع، قد تمكنوا من إقامة مواقع مراقبة حول مدينة بنت جبيل الواقعة شمالي مارون الراس. صبيحة الخامس والعشرين من تموز بدأ عناصر لواء المظليين الخامس والثلاثين بالتحرك شمالي غربي المدينة في محاولة منهم لإقامة مواقع اعتراض. في القرياه بالقرب من تل أبيب، كانت أوامر حالوتس لقائد القوات الشمالية، الفريق عودي أدامز، واضحة بمهاجمة المدينة. أكّد حالوتس أن الاستيلاء على المدينة لا بد من أن يمثل رمزاً ويخلق مشهداً للانتصار. وما من شك كان المقصود في مشهد الانتصار التأثير في ادراك الجمهور الإسرائيلي لمدى حرفية الجيش الإسرائيلي وحصافته. أمر حالوتس أدامز بقهر بنت جبيل بكتيبة واحدة فقط. استشاط أدامز غضباً وذكّر قائده فوراً بأن القصبة (الحي القديم) في بنت جبيل تضم وحدها أكثر من 5000 منزل. لم تجد اعتراضات أدامز آذاناً صاغية. في السادس والعشرين من تموز، وبعد قصف مدفعي مكثف على المدينة، ناورت الكتيبة 51 التابعة للواء غولاني، ودخلت مدينة بنت جبيل من الشرق. كان مزيد من مقاتلي حزب الله قد أفلح في اتخاذ مواقع له في المدينة تحت ستار وابل من القصف المدفعي. لم تكن تلك المرة الوحيدة التي تمكّن فيها جهاز استخبارات حزب الله من التنبؤ الدقيق بهجوم وشيك يقوم به الجيش الإسرائيلي.

بعد الإخفاق في مارون الراس، ارادت القيادة معركة تضمن «وعياً بالانتصار» لدى الإسرائيليين (أرشيف)

لماذا لا تنشب «الحرب المقبلة» بين إسرائيل وحزب

يحيى دبوق

مرت 9 سنوات على حرب 2006، و«الحرب المقبلة» لا تنشب. من لا يتذكر مرحلة ما بعد العدوان، وما كتب عن استئناف وشيك للحرب، وأن إسرائيل ستعيد الكرّة مع التأكد من هزم حزب الله ورد اعتبارها. قيل في الحرب المقبلة ما لم يُقل في حرب أخرى. كم هائل من التقديرات: من حرب في الصيف إلى حرب في الخريف الى الشتاء فالربيع. أكثر من تسع سنوات من الوعود والإنتظار، لكن الحرب لم تنشب. ليس لأن مصلحة إسرائيل في اجتثاث تهديد الحزب غير موجودة، أو لأنها لا تريد رد إعتبارها المسحوق، وإلا كانت قد باشرت الحرب بلا تأخير. توجد مروحة واسعة من الإعتبارات، التي لا تسمح للعدو بتجاوزها، وقد أثبتت السنوات الماضية أنها أقوى بكثير من كل حافزية تل أبيب.

تشخيص المصلحة الإسرائيلية، لا يكفي في ظل ميزان القوة بين الجانبين، للقول إن الحرب ستقع أو لا تقع. صحيح أن الهوة كبيرة بين الإمكانات العسكرية لحزب الله وإسرائيل، إلا أن لدى الحزب ما من شأنه أن يدفعها ثمناً باهظاً.

في إسرائيل يقرون بهذه الحقيقة. لا ينكرون أن من مصلحتهم منع الحرب، أو تأجيلها. رغم كل أخطاء إسرائيل وما دفعها إلى شن «اعتداءات مدروسة»، مبنية على تقدير خاطئ حول وضع الحزب و«انضغاطه»، بحسب تعبير الإسرائيليين.

صحيح أن الإنشغال الإسرائيلي طوال السنوات الماضية يتركز على البحث في مصلحة حزب الله وإمكاناته، ونياته لخوض الحرب، إلا انه من النادر جداً أن يبحث الإسرائيليون علنا في نياتهم ومصالحهم لخوض الحرب. وفي مرحلة ما بعد الحرب في سوريا، تركّز البحث الإسرائيلي على التدخل العسكري لحزب الله في الساحة السورية وانشغاله فيها، وقبلها بمناكفة جهات لبنانية ومدى قدرتها على إشغال الحزب عن اسرائيل.

مع ذلك فان البحث عن انشغال الحزب، لا يرمي الى البحث عن فرصة شن الحرب المقبلة، بل عن القدرة في تغيير قواعد الاشتباك غير المكتوبة بين الجانبين منذ عام 2006: اسرائيل تمتنع عن استهداف لبنان وحزب الله، مقابل امتناع حزب الله عن استهدافها.

عملت اسرائيل وحاولت، تبعا لظروف حزب الله وانشغاله، على فحص حافزيته في الرد على اعتداءاتها. لكنها أخطأت في «تثقيل» هذا الإنشغال مرّات عدة، وكان الرد على اعتداءاتها كافياً لإعادة تصويب قراءاتها. جوهر خطأ اسرائيل أنها ركّزت على ظرف الحزب، وأهملت أصل الإعتداء وتداعياته، وتحديداً في الساحة اللبنانية. فسواء كان الحزب مشغولا أم لا، ليس بإمكانه «بلع» اعتداء إسرائيلي في لبنان، مهما كانت النتائج. إذ انه يدرك جيداً أن مرور اعتداء كهذا بلا رد، سيحفز إسرائيل كي تترقى درجات في اعتداءاتها، وهو ما لا يُمكن السماح به.

مع ذلك، لا يمكن إنكار أن إسرائيل تعدّ للحرب، وأن وحداتها العسكرية لا تتوقف عن التدريبات والمناورات استعداداً لها. إلا أنه ما بين الإستعداد للحرب والحرب نفسها، فرق كبير. قد يكون الإستعداد والإعلان عنه، إحدى أهم المقدرات لمنعها، تماما كما التهديد بإعادة لبنان الى «العصر الحجري» بحسب إسرائيل. أما من جهة حزب الله، فإنه يدرك جيداً أن السلاح الذي يهدّد إسرائيل ويدفعها